

ومن هنا قالوا : ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

(ج) وتتمثل مشاق الدعوة كذلك فى صورة أخرى هى طول الطريق ، واستبطاء النصر، فقد جعل الله العاقبة للمتقين ، وكتب النصر لدعاة الحق من رسله وأتباعهم وورثتهم المؤمنين . ولكن هذا النصر لا يتحقق بين عشية وضحاها ، ولا تشرق شمسه إلا بعد ليل طويل حالك من الشدائد والمحن المتعاقبة ، تزيغ لهولها الأبصار ، وتبلغ القلوب الحناجر ، ويظن الناس بالله الظنون ، هنالك يُبتلى المؤمنون ويُزلزلون زلزالا شديداً ، كما صور القرآن الحالة النفسية للمسلمين فى غزوة الأحزاب .

وكم أكد القرآن هذه الحقيقة فى أكثر من موضع ، وبأكثر من أسلوب ، فهو يخاطب المؤمنين فيقول : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ، مَسْتَهْمُ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ ، أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢) .
يقولون متى نصر الله ؟ استبطاء له ، واستعجالاً لمجيئه ، فيجئ معه الغوث للملهوف ، والفرج للمكروب .

ويقول جل شأنه : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ، فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ ، وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣) .

* * *

٥ - الصبر حين البأس :

ومجال آخر يذكره القرآن للصبر هو الصبرحين البأس ، أى الصبر فى الحرب حين لقاء الأعداء ، حيث يصبح الفرار كبيرة موبقة ، ويصبح الثبات فريضة لازمة . فالصبر هنا شرط أساسى للنصر ، وعنصر ضرورى للغلبة على العدو ، وقديماً قالوا : الشجاعة صبر ساعة . ومن هنا أثنى القرآن على الصابرين فى آية البر ، فقال : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبِئْسَاءِ (أى الفقر) وَالضَّرَاءِ (أى المرض) وَحِينَ الْبِئْسِ (أى الحرب) ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ (٤) .

(٢) البقرة : ٢١٤ .

(١) الأعراف : ١٢٥ - ١٢٦ .

(٤) البقرة : ١٧٧ .

(٣) يوسف : ١١٠ .